الفصل الثامن

فلسطين والقدس

في وجـــدان الشاعـــر

صفحة بيضاء ١١٢

تمهيد:

فلسطين والقدس والمسجد الأقصى في وجداننا جميعاً، فهي في وجدان الأمة، والشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي هو فرد من هذه الأمة الذي حمل همَّها،وعبَّر عن مشاعر الأمة في شعره، فالأعياد تمضي علينا فاقدة بهجتها وفرحتها؛ إذ كيف نشعر بفرحة العيد، وإخوة أشقاء لنا يعانون كل أنواع حروب الإبادة، من مذابح جماعية، وهدم بيوت على أصحابها، وتجريف أراضي، وطرد الناس من بيوتها ليسكنها اليهود، وحصار مفروض على الأهالي، وحظر تجول، وإبعاد البعض من بلاده، وفي قصيدة "العيد الحزين" التي ألقاها في الحفل السنوي الذي يُقام في مِنى؛ إذ ألقاها في حج عام ١٣٩٧م في حضرة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله يقول:

هو عيد، لكن حملتُ فؤاداً

فيه من غيرة الأبيِّ سمات

كيف يشدو وإن أتى العيد يزهو

بالأماني وبالرضى يقتات؟!

كيف يشدو ولليتامى الحيارى

تحت ظلم من العدا أنَّات؟!

كيف يشدو ومسجد القدس يشكو

وبلادي أعيادها ويلات؟!

ليس يأساً من رحمة الله لكنَّ

لوعة تستدرها الهفوات

عجباً كلما رأيت رفاقي

يتفقون هاجت الخطوات

فتذكَّرتُ في فلسطين ثكلى

تمضغ البؤس والأعادي قُساة

ثُمَّ يقول في نهاية القصيدة:

أيها العيد لست عيدي فمهلاً

إنَّ عيدي أن تُرفع الرَّايات

ويقول في قصيدة "في فلسطين":

فارفعي الكفَّ للسماء وناجى

خالق الكون أن يعزَّ مقالي

فإذا ما استطيتُ صهوة مجدي

وتظللت عزة الإسلام

فهناك اللقاء يحدو هواناً

في فلسطين تحت ظل السلام

اكسروا قيود المسجد الأقصى[1]

يقول في قصيدة "اكسروا هذي السلاسل"

أيُّها الأقصى الذي تنعشه "الله أكبر"

مُقْلَةُ الإسراءِ ترنو

ويدُ المعراجِ تمتدُّ وتدَنو

وفمُ الأمجادِ يدعوكم بأصواتِ الأوائلْ

اكسروا هذي السلاسلْ

اكسروها أيُّها الأبطالُ عن أيدي تُناضِلْ

اكسروها...

قيِّدوا الأيدي التي ترمي..

على القدسِ القنابلْ

اكسروها..

واجعلوها في أيادي..

منْ يهزُّون المعاولْ

يعلنون الحربَ في وجْهِ اليَتَامى والأرامِلْ

ويهدُّون على الأطفالِ جُدران المنازلْ

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في الرياض بتاريخ ١٤٢١/٧/١٥هـ.

قيِّدوا فيها يهودياً

بلا وَعْيٍ يُقاتلْ

اكسروها..

وأعيدوا ذكرياتِ المجدِ..

في "ذاتِ السلاسلْ"

حطِّموا تِمثالَ وهمٍ

ظلَّ يبنيه اليهودْ

واعلموا أنَّ سلام القومِ وَهْمٌ..

مالَهُ في هذه الدُّنيا وجود

أيهودٌ وسلامٌ،وسلامٌ ويهودْ؟؟!

هذه الأُكذوبةُ الكُبرى .

وفي التاريخِ آلافُ الشُّهودْ

أكسروا هذي السلاسلْ

لا تقُولوا مات رامي..

وأخو رامي زيادْ

وبكتْ من قسوةِ الأحداثِ..

لُبْنى وسُعادْ

وتداعتْ أُممُ الكفرِ

على أهل الرَّشادْ

لا تقُولوا: إنَّ قواتِ اليهودِ استوطنَتْ

ومن الأقصى دنَتْ

لا تقولوا: إنَّ باراك إلى شارون عادْ

كُلُّ هذا، أيُّها الأبطالُ..

عنوانُ الكسادْ

عندكم أنتم من الإيمانِ..

ما يُصلحُ أحوال العبادْ

عنكم أنتم من الإيمانِ .

ما تحتاجُهُ كُلُّ البلادْ

فافتحوا بوَّابةَ النَّصْرِ وقولوا:

إنَّ باب النَّصرِ لا يُفْتَحُ إلاَّ بالجهادْ[1]

ويقول:

أمَّتي ماذا يقولُ الشِّعرُ في دنيا السَّقمْ

أمتي هل تُسمع الأشعار جدران الصَّـنمْ

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في الرياض بتاريخ ١٤٢١/٧/١٥هـ.

أُمَّتي ولمن نكتبُ والأقصى براكين حمى

لا تُقولي ذبل إسلامنا لا تقولي نال قلبيْنا السَّأمُ

نحنُ مازِلنا على إيماننا

ولنا في كلِّ ميدانٍ همٌّ

ودعيني أكتبُ الشِّعرَ إلى أمتي

أخرقُ جدران الصَّممُّ

ويقول في قصيدة "رسالة إلى فلسطين"

قُدْسنا والقيود تُدْمي يديه

والمنى تحت رجله تنداحُ

ليلة السَّرمدي لا يتوانى

عن ظلامٍ يتيه فيه الصباحُ

ويقول متسائلاً عن شعب فلسطين، فترد عليه فلسطين: أنَّ شعبها منه من قتل واستشهد ومنهم من يعاني من الظلم داخل الأرض المحتلة، وكثير منهم من هُجِّر عن بلده.:

كانت القدس وردةً لمحبٍ

يأسر القلبَ عطرُها الفوَّاحُ

فغدتْ مجمراً تُشَبّ به النَّا

رُ، وتُشوى في جمره الأرواحُ

أين أهلوك يا فلسطين؟ قالت

بعضهم أجهزت عليه الرِّماحُ

وبقايا منهم.. يُسامون ظلماً

وكثير منهم على الأرض ساحوا

ويختم القصيدة مبيناً عدم شرعية الدولة الصهيونية،وأنَّنا لو اتحدنا وجمعنا صفوفنا لما تمكَّن الأعداء منا، ولما يسيروننا كقطعان المواشي، كما هي حالنا الآن، فيقول:

أيُّ شرعية لحكم عدوٍّ

إنَّما دولةُ العدُوَ سِفاحُ

لو جمعنا صفوفنا، ما غدونا

كالمواشي، يُغدى بنا ويُراحُ[1]

ويقول في قصيدة "من القدس إلى سراييفو":

يرحل الشعر بي إلى القدس، لكن

كُسِرَتْ عند بابه الأوزانُ

آه يا قدسنا تنكَّر قومٌ

وأباحوك للعدوّ وخانوا

(١) ديوان "شموخ في زمن الإنكسار" الصفحات: ٨٤،٨٥،٨٧ .

صنعـــوا قـــهـــوة الخـضـوع، فلمَّـــا

أتـقـنـوهـا، تـبـــرَّأ " الـفِـنْـجـــانُ"

ثار مـوج الإرهابِ فـــيـــهم، فـــقل لي

كـــيف ساق الســـفـــينةَ القُـــبطانُ؟!

أإلـــى شـــاطـئ الأمـــان دعـــاهـا

أم إلـــى شـــاطـئٍ جـــفـــاه الأمـــانُ؟!

شـــرب الـبـــحـــر فـــــــتـــلاشـى

كـــلُّ مـــوجٍ، ومـــاتـــت الحـيـــــــتـــانُ

بـحـــرنـا الـيـــوم لجَّـــةٌ مـن ســـرابٍ

بـاع فـيـــــــهـا حـيـاتـه الـظـمـآنُ

قَـلْـبُ مـســـرى نـبـــيِّـنـا يـتـلـظَّـى

وعـلـى وجـــهـــه يـثـــور الـدَّخـــانُ

وبـعـــيـنـــــه أدمـعٌ لا تـســـلـنـي

عـنـدهـا كـيـف يـصـنـع الـفـــيـضـانُ

ودُعـــاةُ الـسَّـــلام يـبـنـونَ بـيـــتـــــاً

ومـــحـــال أن يـكـمـــل الـبُـــنـــيـــانُ

كـيْفَ تُبنى البُـــيُـــوتُ فوق رمـالٍ
كـــــيْـف تُبْنـى ومـا لـهـا أركـانُ؟
أرأيـــتُـمْ فـي الأرضِ آثـــارُ بـيْـتٍ
مـــالـــه ســـاحـــةٌ ولا جُـــدْران؟!
مـالـهم يَـركُـــضـــون في كلِّ صَـــوْبٍ
دون وعـــيٍ كـــــأنَّـهم عـمـيـان؟!
يـا عـيـون الـسَّـادات نـامـي طـويـلاً
فـقـد اجـتـاح قـــومـنـا الإذعـانُ
ملَّت الـكـأسُ شـاربـيـــــهـا، وألـقـى
ســرجَــه الحـــرُّ فـي الطريـق الحـصـانُ
كلُّ مـن سـطَّروا كـــتـاب الـتـــصـدِّي
مـــسـحـــوا أحـرفَ الكتـابِ ولانـوا
طُـعِـنَ المجْـدُ غِـيـلـةً، فـــبـــمـاذا
سـيـــلاقـي الحـقـيـقـة الهُـرمـزانُ؟!
وطـبـــول الإعـلامِ تُـقْـــرُعُ فـيـنـا
كـلَّ يـوْمٍ، كـأنَّـنـا قُـطْـعـانُ![1]

(١) من القدس إلى سراييفو، ديوان "عندما يئن العفاف"، ص٩٢-٩٤ .

ويقول في قصيدة "أعط القوس لباريها"

سلام الله

يا قدسي

سلام الله

يا"حيفا" ويا "يافا"

سلام الله نبعثه

وليل البؤس

يغمرنا

سلام الله

ياريحانتي

يا لحن أغنية عشقناها

سلام الله

ما عادت لحون القوم تطربنا

سلام الله نرسله

فما عادت تسير إلى

رُبا الأقصى

ركائبُنا

وقفنا

ـ ربما سرنا ـ

ولكن الخلاف المر

يُوقفنا

وقفنا

ـ رُبما سرنا ـ

وحرَّكنا

ركائبنا

ولكن

ألفُ دربٍ ـ يا رُبا الأقصى ـ

تضللنا

حلمنا باتحاد الصفِّ

لكن ألفُ بوقٍ ـ يا ربا الأقصى ـ

تُفرِّقنا

مددنا للسَّلام أكفنا

أملاً

ولكنْ

لم نجد كفاً

تصافحنا

أكفٌّ القوم

مُدَّت نحونا ـ يا قدسنا المحبوب ـ

تصفعنا

أكفٌّ القوم

مدَّت نحونا ـ يا قدسنا المحبوب ـ

تسرقنا

مئاتٌ

مُزِّقت أعراضها

ذبحت

مئاتٌ

قسِّمت أوطانها

طُردت

مئاتٌ

تشربُ المأساة راغمةً

نحنُ..

نزُّف بشرى النصر

تضليلاً

وسوط الذُّل يلهبنا

سلام الله يا قدسي[1]

هذه القصيدة يمكن أن تغنى، وهي تصور آمال وطموح الأمة الإسلامية في تحرير المسجد الأقصى، وما يكتنفها من عقبات أدق التصوير، فخلافتنا المرة فيما بيننا أضعفتنا وحالت دون تحريرنا المسجد الأقصى، أمَّا أملنا في الوحدة فقد حال أعداؤنا دون تحقيقه، ثُمَّ مددنا أيدينا للسلام، فصفعنا من مددنا له أيدينا، وسرق أرضنا وانتهك عرضنا، واستباح دماءنا،وهُجِّر أبناؤنا وإخوتنا.

هذا وقد تفوق الشاعر على نفسه في هذه القصيدة في تصويره لهذه الصور "وقفنا "، "ربما سرنا""حرَّكْنا ركائبنا"، "يوقفنا"، "وقفنا"، فهذه الحركة أضفت على القصيدة روحاً جديدة تفيض بالحياة،وتجعلك تتصور بالفعل ركائبنا وهي متجهة إلى القدس، وتتعرض لكل هذه العراقيل، فتحول بينها وبين بلوغ الأقصى لتحريره.

ويواصل شاعرنا رحلته الشعرية التي لا تنتهي مع القدس والمسجد الأقصى، فيقول:

(١) ديوان "شموخ في زمن الإنكسار" الصفحات: ١٢٥- ١٢٨ .

مـا جـئتُ يا مـسـجـد الإسـراء أسـأل عن

وجـــه العـدو، ولا أســـتنطـق النَّـصُـــبـا

مـا جـــئتُ أســـأل إلاَّ الصَّـــاعـدين إلى

عـليـائهـم، وسـواهـم يعـبـــد اللـقـبـا

سـمـــعتُ طفـــلاً يُنادي العُـــربَ في ثقـــةٍ

هـذا قـتـيلي، فـمن ذا يـأخـذ السَّـلبـا؟

هـذا قـتـــيلي، فـــمن يـا قـــوم يدفنه

ومن يـلبِّـي لـنـا مـن قـومـنـا طـلـبـــا؟

تحية الشاعر لزعيم حماس الشيخ أحمد ياسين

ويحيي الشاعر المجاهد الفلسطيني البطل الشيخ أحمد ياسين، فيقول في قصيدة "أحمد ياسين "

يقول فيها:

إيه يا عسقلانُ، لانَ الحديدُ

وأخو الحقِّ ثابتٌ لا يحيدُ

إيه يا عسقلانُ، أحمد قلبٌ

صامدٌ، ورأي سديدُ

سمعت صوتَه القيودُ يناجي

ربَّه،فانثنتْ إليهِ القيودُ

وبكى السَّجينُ حين أصغى إليه

وهو يتلو، والواهمون رقودُ

أيُّها الشَّيْخُ ما لعَيْنِك تَهْمي؟

ولماذا يطولُ منك الشُّرودُ

جالسٌ أنت، والطُّغاةُ وُقُوفٌ

وحواليْكَ قد أُقيم الجنودُ

أنـــا يـــا شـــيـــخُ مـــا رأيـتُـــك إلاَّ

فـي صـلاةٍ يـطـولُ فـيـهـا السُّـجُـــودُ

أنـــا يـــا شـــيـــخُ مـــا رأيْـتُـــك إلاَّ

داعـيـاً، مـن دعـائـه يـســتـزيـدُ

كـلُّـهـم خـائـفـــــون مـنـك، لمـاذا

أيـخـافُ الـقـعـيـدَ جـيـشٌ عـتـيـدُ

قـال لـي الـشـيـخ، وهـو يُـرسـل نـحـــوي

نـظـرةً، وقـعُـــــهـا عـلـيَّ شـديـدُ

أيُـهـــا الـســـائـلُ المـلِـــحُّ، لأنِّـــي

لائـــذٌ بـالَّـذي إلـيـــه نَـعـُـــودُ

خـافـنـي المـعـتـــــدي، وإلاَّ فـــــإنِّي

أيُّـهـا الـســائـلُ المُـلِـحُّ قـعـيـــــدُ

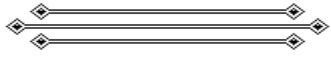

تساؤلات طفل فلسطيني

الطفل الفلسطيني، طفل واعٍ، مدركٌ لقضيته وأبعادها، ومدرك لما يحيط به، وبواقع الأمة الإسلامية، ومدرك لتاريخها، وهو دون أطفال العالم صاحب قرار وإرادة، واستطاع أن يفرض قراره على العالم أجمع عندما جعل الحجارة أقوى من الرصاصة والمدافع الرشاشة ، هذا الطفل بوعيه وإدراكه، وبجرأته وشجاعته، كان محط اهتمام شاعرنا، وصاغ الكثير من قصائده الحوارية على صيغة تساؤلات طفل فلسطيني تنم عن فهمه لقضيته، وإدراكه لأوضاع الأمة الإسلامية، فقال في قصيدة "حوار أمام بوابة الهزيمة" :

قُلْ لي - أبي - أنظلُّ نشْرَبُ ماءنا
والقُدسُ يُهْتَكُ عِرْضُها وتُضامُ؟!
قُلْ لي - أبي - أَيَبِيتُ طفلٌ ساهراً
في كفِّه حجرٌ، ونحنُ نَنامُ
وَرِمتْ عيون المُخْبِرين وَرَاءهُ
وعلى شفاه الصَّامِتِين خِطامُ
سكتوا لأنَّ السيفَ مسلولٌ إذا
نطقوا بما لا يرغبُ الأقْزامُ
أوَ ما لنا أبَتاه عزم صادقٌ
أوليْس بيْن صُفوفنا مِقْدامُ؟!

أوَ مـــــالنـا فـي السـلمِ نـهـجٌ واضـحٌ

أوَ مـالنـا وقّـتَ الحُـروبِ حُـــسـامُ؟!

أوَ مـــالنـــا فـــي عـــالـم الـيـوم الـذَّي

يـــجـــري طـــريـــقٌ واضـحٌ ونـــظـــامُ؟!

أبَتـاه، هـذا بَيْـــتُنـا قـد هُـدِّمـت

جـــدرانـــه، وأمـــامـــنـــا الـــهـــدَّامُ

أبـتـاه هـذا جـسـمُ أمـــــتـنـا سـرى

فـيـــــه الـلـظـى واسـتـشـرتِ الأورامُ

أبـــتـــاهُ هـــذا درب أمـــتـــنـــا شـــكـى

فـيـــــه الثَّـــــرى مـا تـصـنـعُ الألـغـامُ

قُـلْ لـي أبـي أنظلُّ نـعْـلُكُ صـمـــتـنـا

وعـــلـى الأنُـــوفِ مِـــذلَّـــةٌ وَرغـــامُ؟

أنـظـلُّ نـخـفـضُ لـلـصـلـيـب رؤوسـنـا

ويـنـامُ فـوقَ فِـــراشـنـا الحـاخـامُ

أوَ هـــكـــذا أبـتـاهُ ننـسـى ديـنـنـا

ويُزيـحـنـا عن مـجـدنـا اسـتـســـلامُ؟!

كـانَ الأبُ الـمـــسـكِينُ يَحْـــبِسُ دَمْـــعَـهُ

ولحـــزنـــه بـــيْـن الـضُّـــلـــوع ضِـــرَامُ

أَبُنَـيَّ لا تـنْطِـقُ فـقـد ألجَـمْـتَـنـي

أوَّاه كـم يُـؤذي الـكـريـم لـجـامُ!

هـذي هـي الأمـراضُ قـدْ فَـتكتْ بِنـا

فـي عـصـرنـا ودواؤهـا الإسـلامُ

ويجيب الشاعر عن تساؤلات طفل فلسطيني أضحت قريته "مستوطنة يهودية "، يقول الطفل متسائلاً، واصفاً حال قريته بعدما أضحت مستوطنة يهودية:

يا أبي.

هذي روابينا تغشَّاها سكون الموتِ.

أدماها الضجر

هذه قريتنا تشكو.

وهذا غصن أحلامي انكسر

ثُمَّ يقول متسائلاً:

ما الذي يجري هنا يا أبتي.

هل نفضَ الموتُ التترْ؟

ويتساءل عن عدم سماعه صوت الأذان، والتكبير، فيقول:

منذ أن أدركتُ معنى ما يُقال

وأنا أسمع تكبير أذان الفجر

ينسابُ على هذي التلالْ

فلماذا سكت اليوم.

فلم أسمعْ سوى رجعْ السُّؤالْ؟!

ويعود الطفل ويسأل، ويلح في السؤال، فيجيبه الأب قائلاً:

يا بُنيَّ اسكت فقد أحرقني هذا السؤالْ

أنت لم تسأل ولكنَّك أطلقتَ النِّبالْ

أوَتدري لمَ لمْ نسمع هنا الأذانْ

ولماذا اشتدَّت الوحشة في هذا المكان؟!

هذه القرية ما عادت لنا

هذه القرية كانت آمنة

هي بالأمس لنا

واليوم لهم مستوطنَة.

أطفال الحجارة في شعر العشماوي

ويقف شاعرنا هذه الوقفة أمام قامة الطفل الفلسطيني الشامخة، ذلك الطفل المجاهد الذي عرف كيف يواجه الأعداء،فيقول في قصيدة "شموخ في زمن الانكسار"

ووقـــفتُ حين رأيتُ طفـــلاً شـامـــخـاً
قـــامـــاتـنـــا مـن حـــولـــهِ تـتـــقـــــزَّمُ
طفـلٌ صـغـــيـرٌ غـــيـرَ أنَّ شـمـــوخَـــهُ
أوحـــى إلـــيَّ بـأنَّـــه لا يَـــهـــــرَمُ
طفـلٌ صـــــغـــــيـــرٌ والمدافـعُ حـولـه
مـــبـهـورةٌ والغـاصـبـون تبـــرَّمـــوا
فـي كـــفِّـه حـــجـرٌ، وتحتَ حِـــذائـه
حـــجـــرٌ، ووجـــه عـــدُوِّه مـــتـــوَرِّمُ
مـنْ أنْـتَ يـا هـــذا؟ودحـــــــرج نـظـرةً
نـحـوي لـهـا مـعـنـى وراحَ يُـتَـــمْـــتِـــمُ
أنـا مـن رُبـوعِ القُـــدُس طِـفـلٌ فـــارسٌ
أنـا مـؤمـنٌ بمـبـادئـي أنـا مـــســـلـمُ

سكتَ الرَّصاصُ فيا حجارةُ حدِّثي

أنَّ العقيدَةَ قُوَّةٌ لا تُهزمُ[1]

ويحيي الشاعر طفل الحجارة في قصيدة أخرى، هي " لغة الحجارة" يقول فيها:

ها نحن يا أبتي نُعيدُ لقومنا

شرَف الدِّفاع عن الحمى ونُشرِّفُ

طال انتظارُ صغاركم، فتحرَّكوا

لمَّا رأوا أنَّ الكبار توقَّفوا

وتلفَّتوا نحو السِّلاحِ فما رأوا

إلاَّ الحصى من حولهم تتلهَّفُ

عزفوا بها لحنَ البُطُولةِ والحصى

في كفِّ مَنْ يأبى المذلَّة تعْزِفُ

هذي الحجارة يا أبي لغةٌ لنا

لمَّا رأينا أنَّنا لا نُنْصفُ

لمَّا رأينا أنَّ حاخاماتهم

يتلاعبون بنا ويرضى الأسُقّفُ

(١) ديوان "شموخ في زمن الإنكسار"، ص: ١٧- ١٨ .

لمَّـا رأيْـنـــا أنَّ أمـــــتـــنـــا عـــلـــى

أرضِ الخـــــلافِ قِطـارهـا مـتـــــوَقِّـفُ

مـــــاذا نـؤمِّـلُ ـ يـا أبـي ـ مـن فـــــاسقٍ

يلـــهـــو ومـن مـــــتـديـنٍ يـتـطـــرفُ

جـــيـش الحـجـارةِ يا أبـي مـــتـــقـــدِّمُ

والمعـــــتـدي بـسـلاحـه مـتـخلِّـــــفُ

أنـــا لا أتـــوقُ إلـى الـفـنـــاءِ، وإنَّـمـــا

مـوت الـكـريمِ عـلـى الـشَّـهـــــادةِ أشْـرَف

ويهـدي الشـاعـر "أبطـال الحجـارة " قـصيـدة أخـرى، يقـول فـيـهـا بـعـدمـا يستعرض حال الأمة الإسلامية المؤسف المؤلم المبكي المحزن، وقد أيقظها من سباتها أبطال الحجارة:

فهذه الـقـدس وقد خلتها

مـــقـــطـــوعـــةَ الأوَّلِ والآخـــــــــــر

تحـرَّكتْ فـيـهـا بطُولاتُها

وأفـرجـتْ عـنْ سـيـفِـــــهـا الـبـاتـــر

ثارت على أعـدائكم فاسألوا

أعـداءكـم عـن شـــــعـبِـــهـا الثَّـــائـــر

طبيعة الأحجار في كفِّها

تحوَّلت ناراً على الفاجر

ليس لها إلاَّ الحصى عُدَّةٌ

تمحو بها أسطورة القاهر

نداؤها مزَّقَ أصداءه

حزناً على إطراقة النَّاصر

خمسون عاماً في دروب الأسى

من غير ما خُفٍّ ولا حافرِ[1]

وعند استشهاد الطفل محمد الدُّرة " وهو في حضن أبيه الجريح ، وقد شهد هذا الحدث لحظة حدوثه العالم أجمع،إذ كانت إحدى كاميرات وكالات الأنباء تلتقط صوراً للأب الجريح وابنه لحظة إصابة الابن واستشهاده، والأب يصرخ ويقول: "مات الولد .. مات الولد"، كتب الشاعر عبد الرحمن العشماوي، قصيدة "رامي " صوَّر فيها بالكلمة الحدث وعبَّر فيها مشاعره تجاه الحدث، فاتصل به عدد من الإخوة والأخوات بعد قراءتهم لهذه القصيدة، وأكَّدوا له أنَّهم قرأوا وسمعوا اسم الطفل "محمد" وليس "رامي"، ويقول الشاعر إنَّ وسائل الإعلام نشرت الاسم مختلفاً، فكتب هذه القصيدة[2]:

(١) قصيدة "أما لهذا الليل من آخر "من ديوان شموخ في زمن الإنكسار"، الصفحتان ١٦١،١٦٢، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ ،٢٠٠٢م.

(٢) من المقدمة التي كتبها الشاعر نفسه في تقديمه لهذه القصيدة، وقد كتبها في الرياض بتاريخ ١٤٢١/٧/٩هـ.

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ

أنَّ جُنديَّاً يهودياً على السَّاحةِ عربَدْ

وتمادى وتوعَّدْ

ورمى الطفلَ وللقتلِ تعمَّدْ

هو رامي أو مُحمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ طفلاً وأباً كانا على وعدٍ من الموْتِ محدَّدْ

مات رامي أو مُحمَّدْ

ماتً في حضْنِ الأبِ المسكينِ..

والعالمُ يشهدْ

مشْهَدٌ أبصَرَهُ النَّاسُ..

وكم يخْفى عن الأعيُنِ مشْهَدْ

هو رامي أو مُحمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشْهَدْ

أنَّ إرهابَ بني صَهْيونَ..

في صورتهِ الكُبرى تجسَّدْ

أنَّ حسَّ العالمَ المسكونِ بالوَهْمِ تبلَّدْ

أنَّ شيئاً إسمه العطْفُ على الأطفالِ..

في القُدسِ تجمَّدْ

هو رامي أو مُحمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ لصاً دخل الدَّار وهدَّد

ورأى الطِّفلَ على ناصيةِ الدَّربِ فسدَّدْ

وتعالى في نواحي الشَّارعِ المشؤومِ صوْتَ القَصْفِ حيناً.

وتردَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهَدْ

أنَّ جيشاً من بني صهيونَ.

للإرهابِ يُحْشَدْ

أنَّ نارَ الظُّلمِ والطُّغيانِ تُوقدْ

أنَّ آلافَ الخنازير.

على المنبع تُوردْ

وبعدما بيَّن في دلالات ما حدث، والتي تكشف حقيقة العدو اليهودي الصهيوني، وطغيانه وظلمه وإرهابه، وما يقوم به من أعمال وحشية ضد

الشعب الفلسطيني، وضد الطفل الفلسطيني ، وكيف العالم أجمع شهد هذا الحدث لحظة حدوثه، ولم يفعل شيئاً، ولم يعاقب هذا الظالم المحتل، يقول إنَّ كل هذا يؤكد للجميع ما رواه التاريخ عن بني صهيون، وحقدهم، بل هم الحقد مجسَّدٌ في صورة إنسان:

هو رامي أو مُحمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ

أنَّ ما أدْلى به التاريخُ.

من أخبارِ صهْيونَ مؤكَّدْ

أنَّ ما نعرفُ من أحقادِ صهيونَ تجدَّدْ

ما بَنُو صهيونَ إلاَّ الحقدُ.

في صورةِ إنسانٍ يُجسَّدْ

أمرُهم في نَسَقِ النَّاسِ مُعقَّدْ.

ويخص "أطفال الحجارة " بأبيات يختم بها القصيدة يحيي فيها هؤلاء الأبطال، ومن يستشهد منهم، فهم يبعثون الأمل في النفوس أنَّ جذوة الجهاد لن تنطفئ، ولن تخبو مهما حاول الأعداء وأدها وقتلها في النفوس، لنظل في ذل الخنوع والخضوع، فيقول:

هوَ رامي أو مُحمَّد

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومُرشدْ

هي لُبنى هي سُعْدى وابتسامٌ وهي سارهْ

هم بواكير زهزر المجد في عصر الإثارهْ

هم شموخٌ في زمانٍ أعلن الذلُّ انكسارَهْ

هم وقودث العزمِ والإقدامِ عنوانُ الجَسَارهْ

هم جميعاً جيلنا الشَّامخُ..

"أطفالُ الحجارَهْ"

لو سألناهم لقالوا:

ما الشهيدُ الحرُّ...

إلاَّ جَذْوَةٌ تُوقِدُ نارَ العزْمِ..

والرَّأيِ المُسدَّدْ

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ..

شَمْعَةٌ تطْرُدُ دليلَ اليأسِ..

والحسَّ المُجمَّدْ

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ .

رايةُ التوحيدِ في العصر "المُعَمَّدْ"

ما الشهيدُ الحُرُّ

إلاَّ وثبةَ الإيمانِ في العصرِ "المُهَوَّدْ"

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ .

فارسٌ كبَّرَ للهِ ولمَّا حضرَ الموتُ تشهَّدْ

ثم يقول الشاعر في ختام القصيدة: إنَّ الأسماء، وإن اختلفت، فالهدف واحد هو تحرير الأقصى:

ربَّما تختلفُ الأسماءُ لكنْ

هَدَفَ التحريرِ للأقصى موحَّدْ

وفي قصيدة "مساء الخير يا وطني " فتى فلسطيني يتحدث، فيقول:

مساءُ الخيرِ يا وطني .

أتيتُك أنقشُ الإصرارَ في بوَّابة الزّمنِ

أتيتُك..

هيبةُ التاريخِ من خلفي

ونور الحقِّ يطردُ من أمامي ظلمةَ الفِتَنِ

أتيتُك..

أحملُ الرَّشَّاش في كفٍّ

وفي أخرى حملتُ لفافة الكفنِ

مساء الخير يا وطني..

لقد سيَّرتُ في بحر المآسي أعظمَ السُّفنِ

ملأتُ فؤاديَ الخاوي بنور اللهِ

كي أحميكَ يا وطني

أوهى الحصون[1]

هذا عنوان لقصيدة من قصائد شاعرنا الرائعة تؤكد أنّ الكيان اليهودي الصهيوني أوهى الحصون،فهي وإن يبدو في ظاهره كيان قوي، ولكنه من داخل هو كيان ضعيف واه يسوده الانحلال والكفر والمجون،ويسعى لنشر أمراضه هذه بين النَّاس مجرداً من الأخلاق والقيم، فيقول:

أبشـــــــري بالذل يا ذات القُـــــــرونِ

يا مـــــثـــالَ البَـــغْي يا رمـزَ الفـــتُونِ

ســـــوفَ يَنْجـــــابُ ظلامُ الليلِ حـــــتى

تُبْـــــــــرِزي للنَّاسِ ســـوداءَ الجـــبينِ

ســـــيـــــراكِ النَّاسُ شَـــمْطَاءَ تعـانـي

من ضـــــــلالٍ وانحـــــــرافٍ وجـــنـونِ

أبشـــــري يا مَنْ جـــعْلتِ الدِّينَ لَهْـــوَاً

وجـــعْلتِ النَّاسَ أصـــحـــابَ مُـــجونِ

أنتِ جـــــاوزْتِ حُـــــدودَ اللـهِ حـتى

صـــرْتِ رمـــزَ الكفـــر والفـــعل المشـينِ

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في الرياض بتاريخ ١٤٢٢/٩/٢٣هـ.

ويختم الشاعر هذه القصيدة مبيناً أنّ هذا الظلم والكفر والطغيان نهايته سوداء، ولن يطول، وسيأتي اليوم الذي تسقط فيه أوهى الحصون على أيدي رجال أبطال من بني الإسلام فالله وعدنا بالنصر المبين، فيقول:

اذهبي أنَّى تشائينَ اعتداءً
واعتسافاً وكما شئتِ فكوني
فسيأتي يومُكِ المشهودُ إنِّي
لأرى وجهكِ في وحلٍ وطينِ
وستلقين على الدَّربِ رجالاً
يُنْقِذون الأرضَ بالحقِّ المبينِ
عندنا وعدٌ بنصرٍ من اللهِ إنَّا
لنرى إشراقَه في كُلِّ جبينِ
إنَّني أسْمَعُ صوْتَ العدْلِ يدعو
أبشري بالذلِّ يا ذاتَ القُرونِ

عيدية شارون

هذا عنوان لقصيدة أخرى كتبها الشاعر في ثالث يوم عيد الفطر المبارك عام ١٤٢٣هـ على لسان " شارون" رئيس الوزراء الإسرائيلي يبيِّن فيها ما يقدمه للشعب الفلسطيني في العيد قصف وقتل وتشريد، وهدم بيوت، فيقولُ:

أتاكم العيدُ بالأفْراَحِ فاحتفلوا
وأكْثِروا من تَهاني العيدِ واتَّصلوا
وبلِّغوا الأهلَ والأصحابَ تهنئةً
بالعيدِ يُزهر فيها الحبُّ والأملُ
وأرسلوا عَبْرَ مَوْجاتِ الأثيرِ لهم
لحناً تدورُ على أنْغامِهِ المُقَلُ
وجهِّزوا من طّعَامِ العيدِ ما حفلتْ
به موائدكم ثُمَّ اشربوا وكُلوا
وألْبِسُوا الطِّفلَ ثَوْبَ العيدِ واحترسوا
كي لا يؤثرَ في أطْرَافِهِ البلَلُ
أنا الذي لمْ أُشاهدْ وجهَ عيدكمو
إلاَّ وفي ثغْرِ رشَّاشي له قُبَلُ

مَـــهْـــلاً فـــوجـــدانُ رشَّـــاشي يُحسُّ بكم

وقلبُ دبَّابتي بالعـــــيـــدِ يـحـتـــــفِلُ

لعـــيـــدكم فـــرحـــةٌ كُـــبْرى يحُسُّ بهـــا

صـاروخنـا، وأنـا مـن حُـــــسْنهـــــا ثَمِلُ

ألـمْ أُســيِّـــــــر لــه دبَّـابـةً رقـــــصتْ

عـلـى الـدَّمـــــاءِ ولـيْلُ الـرُّعْـبِ مُنْسَـــــدِلُ؟

ألـم أُوجِّــه لــه الـصـــــاروخ تهـنـئـــــةً

من عُـــمْق قلبي، إلـى الأطفـــال تنْتـــقِلُ

ألـــمْ أُوَجِّـــهْ بـــه طيَّـــــارةً حـــــملتْ

مـــــعنـى مـن الودِ بـالـنيـرانِ يشـتـــــعلُ

أهـديكم العـيـــدَ مـبـتـــورَ اليـديْنِ،فـمـــا

يمُـدُّ طـاقـــةَ وردٍ حـــــــيـــنَ يـصـــلُ

أُهْـدِيكم الـعـــــيـــــدَ ممزوجـاً بمـا نـزفتْ

جـــــراحُ طفلٍ، توارى وهـو يبـــــتـــهلُ

أهـديتُـه طَـلْـقـةً نـاريـةً فَـــــهَـــــوى

وجـــســـمـــهُ في نجـــيـعِ الموْتِ يغـتـــسلُ

أهـديتُ منزلَـهُ قَـــصْـــــفـاً يحطِّمـه

فـــفـــرحـــةُ العـــيـد بالأنقـاضِ تكتـــملُ

هـدَيـةُ الـعـيـــــدِ منـي لـوحـةٌ رُسِـــــمتْ

من الـدِّمـــــاء ومن أشـــــلاءِ مَنْ قُـــــتِـلوا

هـديـةُ الـعـــــيـدِ مِنَّي لا يجـودُ بـهـــــا

ســـــوَايَ ممن على أحـــبـــابهم بخـلـوا

ويختم الشاعر القصيدة بقوله ـ أي الشاعر ـ:

هـذي هـــديـةُ شـــارونٍ يُـقَـــدِّمُـهـــــــا

فـــهلْ سَـيُـــرجِـعـــها من أمـــتي بَطَـلُ

هذا هو شارون كما وصفه الشاعر في هذه القصيدة، وهذه حال الشعب الفلسطيني في كل الأوقات، بما في ذلك الأعياد.

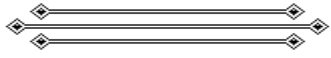

قضية الصلح مع العدو الصهيوني

في جولة شاعرنا على أنقاض الأمجاد الإسلامية حذَّر من الصلح مع العدو الصهيوني؛ إذ من صفات اليهود الغدر، ونقض العهود ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ مبيناً أنَّنا لن نسترد أراضينا المسلوبة وكرامتنا المغصوبة إلاَّ بزوال اليهود بإجلائهم من أراضينا، فقال:

أمـــــتي كـــــيف تطلبين وفـاء؟
من غـــريق في غـــدوه با العـــهـــود
هاهنا مـــوعـــد لإصـــلاح شـــأني
وهـــنـــا نـــظـــرةٌ إلـــى تـــبـــديـــدي
وإذا أهـــدرت كـــــــريمـة أصـل
أصلهـــــا لم يعـــــد يلطم الخـدود
أمـــــتي لم يزل يحـــــرِّك عـــــزمـي
أمـل فـي طـريـقـــك المـنـشـــود
فـــثـــراك الطهـــور يا أمـــة الإسـ
لام كم فـــيـــه من رفـــات شـــهـــيـــد
أمـــــتي ثارت الجـــــراح فـــــثوري
وأفـــــيـــــقي على زوال اليـــــهـود

وهناك قصائد أخرى كثيرة يتحدث فيها عن غدر اليهود، وعدم احترامهم للعهود والمواثيق، وأنَّ معاهدات الصلح معهم، لا تزيدنا إلاَّ ذلاً وخنوعاً، وتزيدهم جبروتاً وطغياناً.